

الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ) -

معالم سيرته ومسيرته -

الباحث: خالد بن محمد ياسين بن موسى ميمني

جامعة الجزائر-1-

الملخص:

المحمود الله جلّ جلاله، والمصلى عليه نبيه وآله؛ وبعد:

فَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ عُمُومًا أَنْ أُرْسَلَ إِلَيْنَا هَذَا الرَّسُولُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ؛ مُحَمَّدٌ - صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -، فكان رحمة للعالمين، اجتباه ربُّهُ واصطفاه مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ جَمِيعًا، فسيرته العطرة خير سيرة على وجه الأرض؛ لذا اهتمَّ بها العلماء من قديم وحديث، وشَمَّرُوا وبذلوا من أوقاتهم الشَّيْءَ الكثير، خدمةً لهذه السَّيْرَةِ وملحقاتها.

ومن ضمن هؤلاء العلماء الذين برزوا في هذا الجانب دون غيرهم نجد: "الإمام جلال الدين السيوطي" - رحمة الله عليه -، لذا كان لزاماً علينا - باعتبارنا باحثين أكاديميين - أن نُلْقِيَ الضَّوْءَ قدر المستطاع على من حَمَلُوا لَوَاءَ الْحِفَاظِ وَالِدِفَاعِ عن المنهج الصَّحِيحِ وخدمة الشَّريعة الإسلامية السَّامِعَاءِ...

فارتأتُ أن أتناول حياة الإمام "السيوطي" - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - من خلال سيرته العِلْمِيَّةِ وبيان عقيدته وَأَهَمِّ آثاره ومؤلفاته... سائلاً المولى عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل عملي هذا خالصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ أَوَّلًا وَآخِرًا.

الكلمات المفتاحية: المعالم - التَّعْلِيم - المَسِيرَة - التَّربِيَة - المنهج

Résumé:

Je vais aborder dans cette recherche, si Dieu le haut le veut, les grandeurs(?) de la conduite et du parcours de l'Imam et Savant "Sioutey", que dieu le bénisse(?), évoquant par là(?), sa croyance, ses principaux maîtres et élèves, et les plus importants de ses ouvrages.

الحركة العلميّة في عصر الإمام "السُّيوطي" وأثرها عليه:

عاش الإمام "السُّيوطي" - رحمه الله تعالى - في عصر المماليك الجراكسة⁽¹⁾ (البُرجية)⁽²⁾، وبدأ هذا الحكم من سنة 784هـ حتّى عام 922هـ⁽³⁾. وكان هذا العصر تسوده الفوضى والاضطرابات السياسيّة، حيث إنّه تولّى منذ ولادة "السُّيوطي" إلى مماته ثلاثة عشر حاكماً في خلال إحدى وستين سنة، وفيها تولّى ثلاثة حكام خلال سنة واحدة، ولكن مع هذه الفوضى والاضطرابات كانت الحركة العلمية في أولج ازدهارها، حتّى يكاد يُسمّى هذا العصر بالعصر الذهبي لبلاد مصر من الناحية العلمية والثقافية، وذلك لعدة أمور:

1 - انتقال دار الخلافة من بغداد إلى مصر:

بعد سقوط بغداد في أيدي التتار سنة 656هـ، وقُتل فيها من قُتل، كانت هجرة العلماء إلى مصر، واستقرارهم بها، فكانت هذه الهجرة لها أثر في دفع عجلة الحركة العلميّة؛ قال "السُّيوطي" - رحمه الله تعالى - : «واعلم أنّ مصر حين صارت دار الخلافة، وعظم أثرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها، وعَلَت السُّنة، وعفت البدعة، وصارت محل سكن العلماء، ومحط رحل الفضلاء»⁽⁴⁾، وهذا الأمر جعل طلاب العلم يتوافدون على مصر؛ لينهلوا من معين هؤلاء العلماء، ويثنوا عندهم الركب.

(1) الجراكسة: من الجركس وهي في الأصل تشمل أربعة قبائل هي: تركس، أركس، كسا، الأص أو الآس، ومنها تتفرع بطون كثيرة، وسكنت هذه القبائل القسم الشمالي الغربي من جبال القوقاس، وقسماً من الشاطئ الشرقي للبحر الأسود، وأما الآن أغلبها يسكن المناطق التركية. أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، إعداد مجموعة من المستشرقين، القاهرة، دار الشعب، ط2، 1969م 208/11-233.

(2) نسبة إلى قلعة الجبل التي كانوا يسكنونها في مصر. انظر: المجمل في تاريخ مصر النظم السياسيّة والإدارية، للدكتور: ناصر الأنصاري، دار الشروق، القاهرة، ط1: 1413هـ، ص168.

(3) انظر ((بدائع الزهور)) 312/1 القسم الثاني، وانظر أيضاً ((بدائع الزهور)) 73/5.

(4) انظر حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسُّيوطي: جلال الدين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1: 1387هـ، للسُّيوطي 94/2.

2 - اهتمام سلاطين الدولة بالعلم والعلماء :

اهتم سلاطين المماليك بالعلم والعلماء، وكان لهذا أثر في الإنتاج العلمي والفكري؛ فهذا الملك الظاهر جمقمق⁽¹⁾، كان فقيهاً محباً للعلماء، والفقهاء، جواداً عليهم، وله إلمام ببعض المسائل؛ لكثرة تردد العلماء إليه في حال إمرته، ورغبته والاستفادة منهم⁽²⁾.

وكذلك السلطان قاتباي⁽³⁾ كانت له مطالعات في كتب العلم، وكان مهتماً بنشر العلم، وذلك بإقامة المدارس التي يدرس فيها مختلف فنون العلم، وتجديد المساجد⁽⁴⁾.

(1) هو: سيف الدين محمد جمقمق بن عبدالله العلاني الظاهري، أبو سعيد، الملك الرابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، والعاشر من ملوك الجراكسة، بويع بالسلطنة، وتلقب بالملك الظاهر؛ لأنه ولي الملك وقت الظهر، وكان ملكاً جليلاً، كفواً للسلطنة، وكانت الدنيا في أيامه هادئة من الفتن، واستمر في ولايته قرابة عشر سنوات، وكان وفاته سنة 857هـ بمرض ألم به، فلما ازداد عليه المرض خلع نفسه من الملك قبل موته. ((بدائع الزهور)) 198/2، 300-299، 350، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: شهاب الدين، أبي الفلاح، عبدالحى بن أحمد العسكري، دار الفكر، بيروت، 291/7.

(2) أنظر: المرجع السابق، 291/7، وأنظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني: محمد بن علي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1: 1348هـ، 182/1 وما يليها.

(3) هو: قاتباي بن عبدالله السلطان الملك الأشرف الجركسي الظاهري، أبو النصر، الملك الحادي والأربعون من ملوك الترك، والسادس عشر من الجراكسة، كان مدة ولايته الأحوال يسودها الهدوء بعيداً عن الاضطرابات، لأنه اتصف بصفات الحكمة والسداد، وسداد الرأي، وكانت مدة حكمه قرابة الثلاثين سنة، توفي سنة 901هـ أنظر: شذرات الذهب، 297/1 - 300، وأنظر: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، للغزي: نجم الدين، محمد بن محمد، تحقيق: جبرئيل سليمان جبور، بيروت، محمد أمين دبح وشركاه، 299/1.

(4) أنظر: "شذرات الذهب"، 7/8 وما يليها، وأنظر: "بدائع الزهور"، 321/3 - 326.

3 - انتشار دور العلم المختلفة (الجوامع، المساجد، المدارس، خزانة الكتب) وتجديدها

اهتم سلاطين المماليك بدور العلم وإنشائها متمثلة في الجوامع التي كانت تلقى فيها دروس العلم ، وكانت من الركائز الرئيسية التي كان لها دور فعال وواضح في دفع الحركة العلمية للأمام ؛ فقد كانت مفتوحة للعلماء وطلاب العلم ، وربما خصصت لهم غرف خاصة للإقامة بها، ومن أشهر هذه الجوامع ، جامع ابن طولون ، وجامع الأزهر ، وجامع الحاكم⁽¹⁾ .

ومن دُورِ العلم التي كان لها أثر بارز في الحركة العلمية المدارس ، فكانت أول مدرسة أنشئت في مصر هي المدرسة الناصرية⁽²⁾ ، ومن المدارس التي كانت لها مكانتها المدرسة الجمالية⁽³⁾ .

وكان في بعض المدارس بيوت خاصة للعلماء والمتعلمين ، وكانت تستضيف العلماء ، وهذا مما له دور في توسيع آفاق التعليم .

ومن الروافد الفكرية التي كان لها أثر مقارب للمدارس في تفعيل الحركة العلمية آنذاك ، خزانة الكتب، وهي ما يُسَمَّى في وقتنا الحاضر بالمكتبات، حيث أنها اهتم بها خاصة بعد أن خرب التتار عدداً كبيراً من الكتب في بغداد، فكان ينشأ لبعض هذه المدارس هذه الخزنة التي كانت تحوي كتباً نفيسة، وبإمكان طالب العلم أن يستعير من هذه المكتبات ليطلع أو يقرأ في فنون شتى غير التي درسها، ومن أبرز هذه الخزانات، خزانة الكتب التي في مدرسة الملكية⁽⁴⁾ ، وخزانة الكتب في المدرسة الظاهرية⁽⁵⁾ ، وغيرهما⁽⁶⁾ .

(1) أنظر: "الخطط المقرية" لـ"المقرزي"، 193/3 - 196 ، 213/3 - 221 ، 222/3 - 230 .

(2) أنظر: المرجع السابق، 438/3 ، 439 .

(3) المرجع السابق، 511/3 .

(4) المرجع السابق، 510/3 .

(5) المرجع السابق، 438/3 ، 439 .

(6) للاستزادة عن المكتبات والمدارس وأثرها في الحركة العلمية أنظر: الحياة العلمية في الإسكندرية للإسكندرية في العصر المملوكي (648 - 932 هـ)، لأمال رمضان عبد الحميد، مطبعة العمرانية للإؤفست ، الجيزة ، ط : 1423هـ، ص 188 ، 280 .

4 - كثرة الأوقاف الخيرية على طلاب العلم ومشايخهم:

كان للسلطين ولالأمرء وكذلك الأغنياء في دولة المماليك إسهامات في الوقف ، وذلك بإنشاء المدارس وغيرها ، وجعلها وقفاً يجرى لمن كان يدرس بها أو يعمل في تلك الأماكن للخدمة⁽¹⁾ ، والأمثلة في ذلك كثيرة⁽²⁾ .

5 - لهفة المؤلفين على المجمع الموسوعي ليعوضوا ما أتلفته يد المغول التتري ويد الصرب، ولكي يجمعوا التراث الإسلامي من الضياع ، فنرى كثرة المخطوطات التي يرجع تاريخها إلى العصر المملوكي في شتى العلوم والمعارف⁽³⁾ .

كلُّ هذه الأمور شاركت في إيجاد حركة علمية قوية تمتاز بترية خصبة لبروز ثلة من العلماء كان لهم أثر بالغ في دفع حركة التأليف والتلخيص ونظم الأبيات العلمية لحفظ العلوم وغيره مما فعل هذه الحركة ، وكان من هذه الثلة التي نشأت في هذه الظروف فأجادت وأفادت وساهمت مساهمة متميزة في إمداد مكتبة التراث الإسلامي بمئات من الكتب ، الإمام العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي.

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

الاسم⁽⁴⁾: هو الحافظ : جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن

(1) أنظر: مقدمة تحقيق كتاب "الدّر المنثور في التفسير بالمأثور" لـ"لسيوطي جلال الدين" ص:4، وانظر: "الحياة العلمية في الإسكندرية"، ص: 217 - 226 .

(2) أنظر: "الخطط المقرئية" للوقوف على بعض الأمثلة 213/3 ، 224 ، 482 ، 511.

(3) مقدمة تحقيق كتاب: "الدّر المنثور"، 4/1 . فُظِّل: تاريخ الغول والمماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري ، للدكتور : أحمد عودات - جميل بيضون - شحادة الناطور ، دار الكندي ، إربد ، 1990م، ص166.

(4) ترجمة له من المصادر والمراجع الآتية :

"حسن المحاضرة"، للسيوطي نفسه 335/1 ، و"شذرات الذهب"، لابن العماد الحنبلي 51/8 ، و الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للسخاوي: شمس الدين ، محمد بن عبد الرحمن ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ط : 1355هـ ، 65/4 - 70 ، و البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني : محمد بن علي، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط1 : 1348هـ، ومقدمة "الدّر المنثور"

نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخضري الأسيوطي⁽¹⁾.

النَّسَب : أخبر السيوطي عن نسبه فقال : «وأما نسبتنا إلى الخُضيري ، فلا أعلم ما تكون هذه النسبة إلى الخُضيرية محلة ببغداد ، وقد حدثني من أثق به أنه سمع والدي -رحمه الله تعالى- يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق ، فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة»⁽²⁾.

للسيوطي ، 4/1 ، و"معجم المؤلفين" ل"عمر بن كحالة" ، 298/5. و الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشرقين ، لزركلي : خير الدين محمود ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 : 1399هـ ، 301/3. و جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية ، للدكتور : عبد العال سالم مكرم ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ، ط1 : 1409هـ ، ص: 121 وما يليها . و المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) ، لمحمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ط : 1369هـ ، ص78. و"جلال الدين السيوطي عصره وحياته وأثره وجهوده في الدراسات اللغوية" للدكتور: "طاهر سليمان" ، ص: 17. والإمام الحافظ ، جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية ، للطباع ، إياد خالد ، دار القلم ، دمشق ، ط1 : 1417هـ ، للسخاوي 65/4 - 70 ، و"البدر الطالع" ل"لشوكاني" ، 328/1. والكواكب السائرة ل"لغزي" ، 231/1. تاريخ النور السافر في أخبار القرن العاشر ، للعيدروسي : محيي الدين عبدالقادر بن شيخ ، ص: 51-54.

(1) نقلاً بتصرف من : المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي : جلال الدين ، تحقيق : محمد أحمد جاد مولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1406هـ ، 653/2 - 663. و"حسن المحاضرة" ، 335/1. و"شذرات الذهب" ، 51-55/8.

(2) أنظر: "حسن المحاضرة" ، 336/1.

والخُضيرية بلفظ تصغير خضرة ، منسوب إلى محلة كانت ببغداد تنسب إلى خضير مولى صالح صاحب الموصل ، وكانت بالجانب الشرقي ، وفيها كان سوق . معجم البلدان ، لياقوت الحموي : شهاب الدين ، أبو عبد الله : ياقوت الحموي الرومي ، دار الفكر ، بيروت ، 377/2.

وأسيوطي نسبة إلى مدينة أسيوط ، وهي تقع في غربي النيل من نواحي صعيد مصر ، وهي مدينة جليلة كبيرة⁽¹⁾. والأسيوطي والسيوطي كلاًهما صحيح كما ذكره السيوطي نفسه⁽²⁾.

الكنية : أبو الفضل ، كناه بها شيخه عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني⁽³⁾.
اللقب : جلال الدين ، لقبه بهذا أبوه ، وهذا اللقب الذي اشتهر به ، وله لقب آخر ، وهو ابن الكتب ، وسيأتي الكلام عنها في المطلب الثاني .

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

مولده:

كان مولده - رحمه الله تعالى - بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع

وأربعين وثمانمائة (849هـ)⁽⁴⁾ ، في مدينة القاهرة⁽⁵⁾.

وقد حصلت في ولادته حادثة طريفة ، وذلك أن والده كان من أهل العلم ، واحتاج إلى كتاب ، فأمر زوجه أن تأتیه بالكتاب من مكتبته ، فذهبت لتأتي به ،

(1) أنظر: المرجع السابق، 1/193.

(2) أنظر: التحدث بنعمة الله ، للسيوطي ، جلال الدين ، تحقيق: أليزابيث مالاري سارتين ، مطبعة جامعة كمبردج ، ط : 1972م ، ص:45. ولب الباب في تحرير الأنساب ، للسيوطي : جلال الدين ، تحقيق : محمد وأشرف أحمد بن عبدالعزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 : 1411هـ ، 61/1.

(3) أنظر: "الكواكب السائرة"، 1/226.

(4) أنظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للسخاوي : شمس الدين ، محمد بن عبدالرحمن ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ط : 1355هـ ، 4/65. وأنظر: "حسن المحاضرة"، 1/336. و"الكواكب السائرة"، 1/226-231. و"البدر الطالع" ل"الشوكاني"، 1/328.

(5) أنظر: "حسن المحاضرة"، 1/336.

والقاهرة: مدينة بجانب الفسطاط ، وهي الآن مدينة عظيمة ، عاصمة دولة مصر. أنظر: "معجم البلدان"، 4/301.

فجاءها المخاض بين الكتب ، فوضعتة ، فأطلق أهله عليه ابن الكتب⁽¹⁾ . وكان هذا اللقب مطابقاً له ، ويتضح ذلك جلياً عند ذكر مصنفاته .

وأما والده فقد ترجم له في «حُسْنِ المُحَاضَرَةِ» فقال : «أبو المناقب أبو بكر كمال الدين بن محمد بن سابق الدين أبي بكر الخضيرى السيوطي ، وقد ولد في مدينة أسوط»⁽²⁾ .

ووالدته لم يذكر نسبها ، بل أشار أنها من الفرس من الجركس ، وكانت أمه تركية ، ولقد عابه عليها بعض أقرانه ، مثل السخاوي⁽³⁾ ، فرد عليه السيوطي بكتاب أسماه «النجوم الدراري في أبناء السراي» ، وكان مما قاله : «وقد نصت العلماء أن أغلب نجباء الأمة وكبراءها من أولاد السراي....»⁽⁴⁾ .

نشأته وطلبه للعلم:

كان والده من أهل العلم، فحرص على تعليمه وتحفيظه للقرآن ، فقد أحضره وهو عمره لم يتجاوز السن الثالثة إلى مجلس ابن حجر⁽⁵⁾ ، وحفظ من القرآن - قبل

(1) أنظر: تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر "للعيدروسي"، ص: 51.

(2) أنظر: "حسن المحاضرة"، 1/441.

(3) هو "محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد أبو الخير شمس الدين": السخاوي الأصل ، القاهري المولد ، الشافعي المذهب ، نزل الحرمين الشريفين ، وبرع في عدة علوم منها : علم الحديث ، زوالفقه ، والعربية ، وغيرها ، توفي بالمدينة المنورة سنة 902هـ. أنظر: "شذرات الذهب"، 8/15.

(4) أنظر: "النور السافر"، ص: 51. وانظر "الضوء اللامع" 4/65. مكتبة الجلال السيوطي ، لأحمد الشرقاوي إقبال ، دار المغرب ، الرباط ، ط : 1397هـ ، ص 364 من كتاب «النجوم الدراري في أبناء السراي».

(5) هو شيخ الإسلام علم الأعلام أمير المؤمنين في الحديث ، حافظ العصر: "شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني": العسقلاني الأصل ، المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة ، الشهير بابن حجر ، مات سنة 852هـ. أنظر: "شذرات الذهب"، 7/270.

قبل أن يموت أبوه - إلى سورة التحريم⁽¹⁾ ، ثم توفي سنة 855هـ⁽²⁾ ، وكان عمر السيوطي آنذاك خمس سنوات وسبعة أشهر ، فنشأ يتيماً ، وقد عهد بالوصية عليه لبعض العلماء ، وكان على رأسهم العلامة بن الهمام⁽³⁾ .

فأكمل حفظه للقرآن ، وهو دون الثامنة ، ثم حفظ «عمدة الأحكام» ، و«منهاج النووي» ، و«ألفية النحو» لابن مالك ، و«منهاج البيضاوي» ، وعرضها وهو دون البلوغ على المشايخ: العلم البلقيني⁽⁴⁾ ، والشرف المناوي⁽⁵⁾ ، وغيرهما ، وحصل منهم على إجازة في ذلك.

وشرع في الاشتغال بطلب العلم في سن مبكرة لم تتجاوز الخامس عشرة من عمره في مستهل سنة أربع وستين وثمانمائة⁽⁶⁾ ، فأخذ الفرائض عن العلامة فرضي زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحي ، وأخذ الفقه عن عدة شيوخ ، منهم العلامة البلقيني ، حيث إنه لازمه حتى مات ، وأخذ النحو كذلك عن عدة مشايخ ، أبرزهم الكافيي ، الذي لازمه قرابة أربع عشرة سنة ، فأخذ منه الفنون من التفسير والأصول والعربية وغير ذلك ، وأجيز عليها ، وأجيز كذلك لتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين وثمانمائة⁽⁷⁾ .

وها هو المؤلف يذكر برنامجه في طلبه للعلم فيقول: «كنت أذهب إلى قرب العصر في أيام الجمعة والسبت والاثنين والخميس ، وكنت أحضر الأحد والثلاثاء

(1) أنظر: الكواكب السائرة"، 1/226.

(2) أنظر: "حسن المحاضرة"، 1/442.

(3) هو "كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد السواسي الأسكنداني" ، المعروف بـ"ابن الهمام الحنفي" ، الإمام العلامة ، توفي سن 861هـ . أنظر: "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" لـ"السيوطي" 1/166 وما يليها . "شذرات الذهب" ، 7/298 . وانظر: "النور السافر" ، ص:51.

(4) ستأتي ترجمته في مشايخه.

(5) ستأتي ترجمته في مشايخه.

(6) أنظر: "حسن المحاضرة" ، 1/336.

(7) المصدر السابق ، 1/336 - 338 .

عند الشيخ سيف الدين بكري ، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي⁽¹⁾.

و كان نتيجة هذه الهمة العالية في طلب العلم أن فتح الله عليه من فضله ، فرزق التبخر في عدة علوم ، كما يقول عن نفسه : «ورزقت التبخر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والمعاني ، والبيان ، والبديع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة»⁽²⁾.

فهذه العلوم تميز وبرع فيها دون غيرها، وإن كان بلغ في غيرها بالنسبة لحالنا اليوم مبلغاً عظيماً، وهكذا نشأ مصنفنا الحافظ السيوطي منذ نعومة أظفاره على طلب العلم، وثني الركب عند العلماء، والتأليف والتدريس حتى نال المكانة العلمية العالية⁽³⁾.

رحلاته:

كان للسيوطي رحلتان لا ثالث لهما:

الأولى: رحلته إلى الحجاز ، وكانت سنة 869هـ⁽⁴⁾ ، حيث إنه رحل إلى مكة للحج ، فأقام فيها ، وجاورها فترة من الزمن ، وأخذ العلم عن بعض علمائها ، أمثال الشيخ : محيي الدين⁽⁵⁾ عبد القادر الأنصاري ، وغيره ، وقال عن نفسه : «حججت وشربت من ماء زمزم لأمر ، منها : أن أصِلَ في الفقه إلى رتبة ابن الشيخ سراج الدين البُلُقَيَّيْنِ ، وفي الحديث رتبة الحافظ ابن حجر»⁽⁶⁾ ، ولقد صنف في هذه الرحلة كتاب «النفحة «النفحة المسكية والتحفة المكية»⁽⁷⁾ ، ثم رجع إلى مصر بعد فراغه من الحج.

(1) "التحدث بنعمة الله"، ص: 12.

(2) "حسن المحاضرة"، 338/1.

(3) سيأتي مزيد الكلام عن مكانته العلمية في ص: 9 من هذه المقالة.

(4) أنظر: "التحدث بنعمة الله"، ص: 83.

(5) ستأتي ترجمته ضمن مشايخه.

(6) "حسن المحاضرة"، 338/1.

(7) أنظر: دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها ، لمحمد بن إبراهيم الشيباني ، وأحمد سعيد الخازندار ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الكويت ، ط 2 : 1416هـ ، ص 148 وما يليها.

وكتب عن رحلته هذه ما ألفه أو نظمه ، والشيوخ الذين أخذ عنهم في كتاب أسماه: « النحلة الزكية في الرحلة المكية»⁽¹⁾.

الثانية: رحلته كانت داخلية داخل مصر ، وكانت سنة 870هـ⁽²⁾ ، حيث إنه ارتحل إلى دمياط⁽³⁾ والفيوم⁽⁴⁾ والإسكندرية⁽⁵⁾ ، وكتب أيضاً عن هذه الرحلة وما حدث بها ، والشيوخ الذين أخذ عنهم في كتاب أسماه «الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط»⁽⁶⁾.

وتحدثت بعض المراجع عن رحلات السيوطي ، حيث إنها ذكرت أنه رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والتكرور⁽⁷⁾ ، بناءً على قول السيوطي في كتابه «حسن» «حسن المحاضرة» فقد قال: «وسافرتُ بحمد الله إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور...»⁽⁸⁾.

وهذا الكلام جعل بعض الباحثين من المعاصرين يقعون في وهم سفره إلى هذه البلدان، ولكن عند النظر والتأمل في العبارة السابقة يتضح أن هذا الكلام مرجوح ، والراجح خلاف ذلك لأمر:

(1) "التحدث بنعمة الله"، ص: 83.

(2) المصدر السابق، ص: 86.

(3) هي مدينة قديمة بين تينيس ومصر على ساحل البحر ، ينتهي إليها ماء النيل . أنظر: "معجم البلدان"، 472/2. و الروض المعطار في خبر الأقطار ، لابن عبد المنعم : محمد بن عبد المنعم الحميري ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ص 257.

(4) هي موضع بمصر في غربها . أنظر: "معجم البلدان"، 4/286.

(5) هي مدينة تقع في مصر ، اختلف فيمن بناها اختلافاً كثيراً ، ونسج في وصفها ووصف منارتها الكلام المبالغ فيه والذي لا يصدر إلا ممن غلب عليه الجهل ، فتحها المسلمون سنة 20هـ في أيام عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وهي الآن مدينة معروفة بمصر ، تقع في شمالها على ساحل البحر المتوسط . المرجع السابق، 1/83 - 188.

(6) أنظر: "التحدث بنعمة الله"، ص: 86. وكذا: "مكتبة الجلال السيوطي"، ص: 201.

(7) هي بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه الناس بالزنج. أنظر: "معجم البلدان"، 2/38.

(8) أنظر: "حسن المحاضرة"، 1/338.

- 1 - التاء في (سافرت) هي تاء التأنيث ، وليس تاء الفاعل ، كما قرره بعض الباحثين الذين أثبتوا له الرحلتين.
- 2 - عند النظر في سياق الكلام يتضح جلياً أن المقصود بسافرت هي مصنفاته ، حيث إنه قال قبلها: «وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين ، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه ، وسافرت...»⁽¹⁾.
- 3 - لو فرضنا أنه سافر إلى تلك البلاد ، فلماذا لم يكتب ولو كتاباً واحداً أو يشير إلى هذه الرحلات إشارة واضحة ، خاصة أنه ممن أولع بالتأليف والتصنيف ، وأنه تحدث عن رحلته إلى بلاد الحجاز ورحلته داخل مصر كما سبق .
- 4 - نص السيوطي بكلام واضح له في كتابه «التحدث بنعمة الله»⁽²⁾ على أن مؤلفاته مؤلفاته دخلت هذه المدن ، فدل على عدم رحلته وسفره إليها . والله أعلم .
- 5 - لم يذكر المترجمون أن للسيوطي رحلات إلى البلاد المذكورة آنفاً ، وإنما اكتفوا برحلتَي الحجاز ومصر .

شيوخه وتلاميذه:

شيوخه:

امتاز السيوطي بكثرة مشايخه الذين تلقى عنهم، ولقد حفظ لهم ذلك، وأظهر وفاءً لهم بمصنفات صنفها فيهم، فمن تلك المصنفات «حاطب ليل وجارف سيل»، وهو معجم لشيوخه، وهو معجمه الكبير، وكذلك «المنتقى» وهو المعجم الصغير، وأيضاً «المنجم في المعجم»، وهو كتاب مستقل غير المنتقى، واختلف في تقدير عدد مشايخه، وإليك بيان ذلك:

(1) أنظر: المرجع السابق، 338/1.

(2) أنظر: «التحدث بنعمة الله»، ص: 125. مع العلم أن كتاب: «التحدث بنعمة الله» ألفه «السيوطي» - رحمه الله تعالى - بعد كتابه: «حسن المحاضرة» بسنوات كما ذكر ذلك د/بديع السيد اللحام في كتابه: «الإمام الحافظ جلال السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه». أنظر: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه ، للدكتور : بديع السيد اللحام ، دار قتيبة، دمشق ، ط 1 : 1411هـ ، ص: 124 - 126.

1 - ذكر الخوانساري⁽¹⁾ في : «روضات الجنات» : أن قراءته ، وأخذه وروايته في مراتب المعقول والمنقول ، قد انتهت إلى جماعة كثيرة لم يعهد مثلها لأحد من الفحول ، بحيث ذكر بعضهم أنه أخذ عن غالب علماء عصره ، وبلغ مجموع شيوخه نحواً من ثلاثمائة شيخ أو أكثر⁽²⁾ .

2 - يقول "السيوطي" - رحمه الله تعالى - عن نفسه في «حسن المحاضرة»: «أما مشايخي في الرواية سماعاً وإجازة فكثيرون ، أوردتهم في المعجم الذي جمعتهم فيه ، وعدتهم مائة وخمسون ، ولم أكثر من سماع الرواية ؛ لاشتغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية»⁽³⁾ .

3 - ذكر الشعراني في «الطبقات الصغرى» أن عدد شيوخه ستمائة⁽⁴⁾ .

4 - نص السيوطي أن عددهم ثلاثين ومائة شيخ ، وهم من عوالي مشايخه⁽⁵⁾ .

5 - بلغ عددهم في كتابه «المنجم في المعجم» للسيوطي خمساً وتسعين ومائة شيخ⁽⁶⁾ .

ويَتَضَحُّ ممَّا سبق أنَّ هناك اختلافاً متبايناً في العدد ، وأقول إن السيوطي في كتابه «المنجم في المعجم» وضح أنه جعل شيوخه على أربع طبقات ، وذكر الثلاث ، وأغفل الرابعة ، حيث إنه قال في مقدمته : «وهذا معجم ذكرت فيه أعيان الشيوخ الذين سمعت منهم الحديث أو أجازوني ، وهم ثلاث طبقات ، عليا ورمزت لهم برمز ط ، والتي تليها برمز طب ، ولن دونها برمز طس ، ولم أذكر الطبقة الرابعة ؛ لعدم الحاجة إذ لم أورد عنهم شيئاً ألبتة ، إلا أنهم قد أحتاج إليهم في رواية مصنفات

(1) هو "محمد بن باقر بن زين العابدين بن جعفر الموسوي الخوانساري الأصفهاني"؛ مؤرخ وأديب ، ولد بإيران ، ومات بها سنة 1226 هـ. أنظر: "الأعلام" ، 49/6.

(2) أنظر: "روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات" ، ص: 415.

(3) "حسن المحاضرة" ، 339/1. وكذلك: "الكواكب السائرة" ، 228/1.

(4) "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعجمات والمشیخات والمسلسلات ل"الكتاني" ، 1013/2.

(5) أنظر: "التحدث بنعمة الله" ، ص: 76.

(6) "المنجم في المعجم" ، ص: 23.

شيوخهم المذكورين⁽¹⁾، ويتضح مما سبق أن عدد مشايخه 300 أو 600، يشمل ويندرج معه الطبقة الرابعة الذين لم يذكرهم، وأن عددهم الفعلي هو ما بين 150 شيخ إلى 195 شيخ⁽²⁾، ومن أبرزهم وأشهر من أخذ منهم:

1 - الكافيي: محي الدين الكافيي محمد بن سليمان بن سعد البرعمي، أبو عبد الله، فقد ذكر أنه لازمه مدة أربع عشرة سنة، وأخذ عنه فنون التفسير والأصول والنحو وسائر علوم العربية، وكتب له إجازة عظيمة، وكان السيوطي شديد الإعجاب به، توفي سنة 89هـ⁽³⁾.

2 - البُلُقيني: علم الدين صالح بن عمر بن رسلان الكناني، أبو البقاء، حامل لواء مذهب الشافعي في عصره، من أبرز العلماء الذين تلقى عنهم السيوطي العلم، وقد لازمه، وأجاز له بالتدريس والإفتاء سنة 867هـ، وحضر تصديره للتدريس، وقد مضى من عمره آنذاك ثمانية عشرة سنة، وتوفي البُلُقيني سنة 868هـ⁽⁴⁾.

3 - المناوي: شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد المناوي، أبو زكريا، وهو أستاذ السيوطي الثاني في الفقه؛ إذ أنه أنتقل إليه بعد وفاة علم الدين البُلُقيني ولازمه حتى توفي سنة 871هـ، ورثاه بثلاثة أبيات، وهو آخر علماء الشافعية ومحققهم في ذلك العصر⁽⁵⁾.

4 - الأنصاري: محي الدين عبد القادر بن أبي القاسم بن أحمد الأنصاري المالكي النحوي، كان قد برع في الفقه والتفسير والعربية وغيرها، وهو أبرز المشايخ الذين أخذ عنهم السيوطي بمكة المكرمة أثناء إقامته فيها.

(1) أنظر: المرجع السابق - باختصار -، ص: 45.

(2) أنظر: المرجع السابق، ص: 23.

(3) أنظر: "حسن المحاضرة"، 549/1 - 550. "بغية الوعاة"، 117/1 - 119.

(4) أنظر: ترجمته: "حسن المحاضرة"، 444/1. و"نظم العقيان في أعيان الأعيان" لـ "السُّيوطي"، ص: 119.

(5) "المنجم في المعجم"، ص: 237. وكذا: "حسن المحاضرة"، 445/1.

و قال عنه في «البغية»: «ليس بعد شيخي الكافيي والشُّمَني أني منه مطلقاً...وكتب على شرحي في الذي على الألفية تقريباً بليغاً»، ووصفه بأنه تفرد في الأقطار الحجازية بمعرفة العربية، توفي سنة 880هـ⁽¹⁾.

5 - الشُّمَنيّ: تقي الدين أحمد بن محمد الشُّمَني، أبو العباس، إمام النحاة في زمانه، برع وتميز في علم التفسير والنحو واللغة وعلومها وغيرها من العلوم. امتدحه "السيوطي" - رحمه الله تعالى - بمالم يمتدح غيره من مشايخه وبالع في ذلك، وقد لازمه مدة أربع سنوات، وشهد له شيخه هذا بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه، وكتب له تقريباً على «شرح ألفية بن مالك»، و«جمع الجوامع في العربية»، وكانت وفاته سنة 872هـ، ورثاه السيوطي في قصيدة طويلة⁽²⁾.

6 - شمس الدّين محمد بن موسى بن محمود السيرامي الحنفي الإمام بالخانقة⁽³⁾ الشيخونية المتوفى سنة 871هـ:

كان أول شيوخه في العربية، فقد قرأ عليه «ألفية مالك»، وقطعة من «التسهيل»، وسمّع عليه الكثير من شرح ابن المصنف و«التوضيح» لابن هشام، وشرح «شذور الذهب»، وقرأ عليه كذلك في الحديث «صحيح مسلم» إلا قليلاً، و«الشفاء» للقاظمي عياض، وقرأ عليه «المغني في أصول الفقه الحنفي»، و«شرح العقائد» للتفتازاني، وهو أول شيخ أجازه بالعربية، وكانت إجازته له سنة 866هـ⁽⁴⁾.

(1) أنظر: "بغية الوعاة" 104/2، 105، "المنجم في المعجم"، ص: 147. و"شذرات الذهب"، 330-329/7.

(2) أنظر: "حسن المحاضرة"، 474/1 - 479. و"بغية الوعاة"، 375/1 - 381.

(3) الخانقاه: هي كلمة فارسية معناها البيت، وقيل: أصلها خانقوه: أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، وقد أحدثت في الاسلام، وجعلت مكاناً يختلئ فيه للعبادة ولإقامة شعائهم بها، ولم تخل من الجوانب التعليمية. أنظر: "لب للباب"، 219/1. و"الخطط المقرزية"، 576/3.

(4) أنظر: "نظم العقيان"، ص: 149. و"المنجم المنجم"، ص: 221. وكذا: "حسن المحاضرة" 237/1.

تلاميذته:

تتلمذ على يدي السيوطي عدد كبير من العلماء ، ويرجع هذا إلى تصديده للتدريس والإفتاء منذ وقت مبكر من حياته العلمية ، ولنبوغه وسعة علمه قصده العدد الكبير من طلاب العلم ، وكان من أبرزهم:

1 - ابن طولون : وهو العلامة المسند المؤرخ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون ، الدمشقي الحنفي ، أبو الفضل ، كان ماهراً بالفقه ، مشهوراً بالحديث ، علامة بالنحو ، عبر عنه العلامة أحمد تيمور بـسيوطي الشام ، لأنه شابه شيخه جلال الدين بكثرة التصانيف في جميع الفنون ، حيث إنها بلغت قرابة 753 مصنف⁽¹⁾.

وذكر المؤرخ نجم الدين الغزي في «الكواكب السائرة» عندما ترجم له أنه أخذ عن السيوطي إجازة مكاتبة ، وأنه كتب بخطه كثيراً من مؤلفات شيخه⁽²⁾.
و وضع "ابن طولون" حواشي وتعليق كثيرة على مؤلفات شيخه؛ منها: حاشية على «الاقتراح» ، وشرحاً ممزوجاً على «ألفيته في النحو» ، وشرحاً ممزوجاً كذلك على ألفيته المسماة «عقود الجمان في علم المعاني والبديع والبيان» ، وغير ذلك مما أشار إليه عند سرده مؤلفاته في كتابه «الفلك المشحون»⁽³⁾. توفي رحمه الله سنة 953هـ⁽⁴⁾.

2 - الداودي: الإمام العلامة شمس الدين محمد بن علي الداودي المصري الشافعي ، أبو الحسن ، وهو من أشهر تلامذة السيوطي ، وأكثرهم اتصالاً به ، حيث إنه كتب ترجمة لشيخه السيوطي في مجلد ضخيم ، وكانت وفاته سنة 945هـ⁽⁵⁾.

(1) أنظر: "شذرات الذهب" ، 298/8. وانظر: "المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي" لـ"محمد زيادة" ، ص: 78.

(2) "الكواكب السائرة" ، 53/2.

(3) "الفلك المشحون" ، ص: 99 ، 108 ، 111.

(4) "الكواكب السائرة" ، 54/2. و"الأعلام" ، 291/6.

(5) المرجع السابق ، 71/2. و"شذرات الذهب" ، 264/8.

3 - ابن إياس: مؤرخ مصر المشهور، محمد بن أحمد بن إياس المصري، وهو ثالث المؤرخين الذين أروا في تاريخ مصر في القرن التاسع عشر الهجري، واسم كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، وهو من المتميزين الذين كتبوا في دولة المماليك، وقد نقل عن شيخه السيوطي، وكان يرمز له بقوله: «شيخنا»، توفي سنة 930هـ⁽¹⁾.

4 - الشامي: الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الصالحي الشامي، المتمسك بالسنة المحمدية، نزيل مصر ومحدثها، تفتن في عدد من العلوم، وهو صاحب السيرة المعروفة بالسيرة الشامية، اسمها «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»، حيث إنه جمعها من ألف كتاب، ويعتبر من أجل تلاميذ السيوطي، وله «مرشد السالك إلى ألفية ابن مالك»، وغير ذلك من الكتب، توفي رحمه الله سنة 942هـ⁽²⁾.

5 - العَلْقَمي: العلامة شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن علي بن العلقمي القاهري الشافعي، أخذ عن السيوطي ولزمه، وأجيز بالتدريس والإفتاء، وله حاشية حافلة على «الجامع الصغير»، للإمام السيوطي، اسمها «الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير».

وقد ترجم له الشهاب الخفاجي⁽³⁾ في «ريحانة الألبا»، فقال عنه: «شيخ الحديث في القديم والحديث، لم تزل سحب إفادته في رياض الفضل دوارف، حتى صار وهو العلم المفرد من أعرف المعارف، قد تحلى بخدمة الجلال السيوطي كمالا، و رقى

(1) "معجم المؤلفين"، 50/3. "المؤرخون في مصر"، ص: 46 - 49.

(2) أنظر: "شذرات الذهب"، 250/8. وكذا: "فهرس الفهارس"، 1062/2. و"الأعلام"، 155/7.

(3) هو: أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة، وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، ولد ونشأ في مصر، وسافر إلى عدة أماكن، واستقر في نهاية حياته بمصر قاضياً حتى توفي بها سنة 1069هـ. أنظر: المرجع السابق، 238/1.

أسماء المعالي فزاد جمالا⁽¹⁾ ، توفي سنة 963هـ ، وقيل : سنة 969هـ⁽²⁾ .

ثناء العلماء عليه ومكانته العلمية:

كثر ثناء العلماء على السيوطي كثيراً ؛ لما أعطاه الله له من شهرة علمية واسعة ، فقد عدّه العلماء - كما سبق - من المكثرين في التأليف والتصنيف ، وامتدحه شيوخه ومعاصروه وتلاميذه حتى غدا علماً عظيماً من أعلام المسلمين .
وقد أثنى عليه الغزي⁽³⁾ ثناءً بالغاً ، فقال بعد أن ذكر اسمه ونسبه: « الشيخ العلامة الإمام المحقق المدقق المسند الحافظ شيخ الإسلام؛ صاحب المؤلفات الجامعة، والمصنفات النافعة⁽⁴⁾ » .

« وقد ذكر تلميذه الداودي أنه ألّف المؤلفات الحافلة الكثيرة الكاملة الجامعة النافعة المتقنة المحررة المعتمدة المعتبرة وزادت عدتها على خمسمائة مؤلف⁽⁵⁾ » .
وقال عنه أيضاً: « وكان في سرعة الكتابة والتأليف آية كبرى من آيات الله تعالى ، وكان مع ذلك يملئ الحديث ويجيب ، وفنونه ورجاله وغريبه واستنباط الأحكام منه ، وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث ، قال : ولو وجدت أكثر لحفظته⁽⁶⁾ » .

(1) "الكواكب السائرة"، 41/2. وريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، للخفاجي : أحمد بن محمد ، تحقيق : عبدالفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة ، ط 1 : 1386هـ ، 77/2 وما يلها . وانظر كذلك: "شذرات الذهب" ، 338/8.

(2) "فهرس الفهارس" ، 827/2.

(3) هو "محمد بن محمد بن محمد الغزي القرشي الدمشقي، أبو المكارم ، نجم الدين"؛ مؤرّخٌ وباحثٌ وأديبٌ، مولده ووفاته في دمشق سنة 1061هـ. "الأعلام"، 63/7.

(4) أنظر: "الكواكب السائرة" ، 226/1.

(5) المصدر السابق، 228/1.

(6) المصدر السابق، ن.ص.

وقال في آخر ترجمته : « ومحاسنه ومناقبه لا تحصى كثرة ، ولو لم يكن له من الكرامات إلا كثرة المؤلفات مع تحريرها وتدقيقها لكفى ذلك شاهداً لمن يؤمن بالقدر »⁽¹⁾.

وقال ابن العماد الحنبلي⁽²⁾ -بعد أن ذكر نسبه- : « المسند المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة »⁽³⁾ ، وقال -عند ذكر عدد مؤلفاته- : « واستقصى أيضاً مؤلفاته الحافلة الكثيرة الكاملة الجامعة النافعة المتقنة المحررة المعتمدة المعتبرة »⁽⁴⁾.

كما مدحه الكتاني⁽⁵⁾ ، فقال : « هو الإمام فخر المتأخرين ، علم أعلام الدين ، خاتمة الحفاظ ، وكان نادرة من نوادر الإسلام في القرون الأخيرة حفظاً واطلاعاً ومشاركة وكثرة تأليف »⁽⁶⁾.

وقد مدحه العلامة "الشوكاني"⁽⁷⁾ - رحمه الله تعالى - في « البدر الطالع » بما يرفع شأنه ويبين مكانته العلمية ، فقال من مواضع في كتابه : « الإمام الكبير ، صاحب التصانيف... ، وبرز في جميع الفنون ، وفاق الأقران ، واشتهر ذكره ، وبعد صيته ، وصنف التصانيف المفيدة كالجامعين في الحديث ، و « الدر المنثور » في التفسير ، و « الإتيان في علوم القرآن » ، وتصانيفه في كل فن من الفنون مقبولة ، قد سارت في الأقطار مسير النهار... ».

(1) أنظر: المصدر السابق، 229/1.

(2) هو "عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح"؛ مؤرخ وفقيه وعالم بالأدب ، ولد بدمشق ، ومات بمكة حاجاً سنة 1089 هـ. أنظر: "الأعلام"، 290/3.

(3) أنظر: "شذرات الذهب"، 51/8.

(4) المصدر السابق، 53/8.

(5) هو: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، من رجال العلم والسياسة في المغرب الأقصى ، توفي سنة 1383 هـ أنظر: "معجم المؤلفين" لـ "عمر كحالة"، 2 / 67.

(6) "فهرس الفهارس"، 1101- 1010/2.

(7) هو "محمد بن علي بن محمد عبد الله الشوكاني"؛ فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، وُلِدَ بها بها وَوُي قضاها، ومات حاكماً لها سنة: 1250 هـ "الأعلام"، 298/6.

ثمَّ قال - أي "الشَّوكاني" - : «ولكنه لم يسلم من حاسد لفضله وجاحد لمناقبه ؛ فإن السخاوي في «الضوء اللامع» - وهو من أقرانه - ترجمه ترجمة مظلمة ؛ غالبها ثلب فظيخ ، وسب شنيع ، وانتقاص وغمط لمناقبه تصريحاً وتلويحاً ، ولا جرم فذلك دأبه في جميع الفضلاء من أقرانه ، وقد تنافس هو وصاحب الترجمة منافسة أوجبت تأليف صاحب الترجمة لرسالة سماها: «الكاوي لدماغ السخاوي» ، ثم قال الشوكاني : فليعرف المطلع على ترجمة هذا الفاضل في «الضوء اللامع» أنها صدرت من خصم له غير مقبول عليه»⁽¹⁾ .

وقال "الزَّركلي"⁽²⁾ في «الأعلام» : «إمام حافظ مؤرخ أديب ، له نحو 600 مصنف ، منها الكتاب الكبير ، والرسالة الصغيرة»⁽³⁾ .
وأما المكانة العلمية التي تبوأها بين الناس من عامة وبين معاصريه من العلماء خاصة تتجلى في عدة أمور:

- 1 - توليه التدريس في سن مبكرة ، فقد تولى التدريس وأجيز عليه ، ولم يتجاوز عمره السابعة عشرة ، وبدؤه بالتصنيف في هذا العمر أيضاً⁽⁴⁾ .
- 2 - تصديه للإفتاء عن عمر لم يهز الثانية والعشرين عاماً ، وظل مفتياً منذ ذلك الوقت حتى اعتزل الناس ، وقد أفردت بعض فتاويه المعنونة في كتب مفردة ، وأما فتاويه غير المفردة بلغ الأربعمئة⁽⁵⁾ .
- وحوى كتابه «الحاوي في الفتاوي» ، فتاوى متنوعة في سائر العلوم والفنون .
- 3 - إملأه الحديث من حفظه ، وعمره ثلاث وعشرون عاماً⁽⁶⁾ .
- 4 - ثناء شيوخه عليه ، وإجازتهم له بالتدريس ، وحضورهم لها ، وتقاريفهم لبعض مؤلفاته⁽¹⁾ .

(1) أنظر: "البدر الطالع"، 328/1-329.

(2) هو : خير الدين محمود الزركلي ، مؤرخ ، دبلوماسي ، وشاعر ، توفي سنة 1396هـ . "تكملة معجم المؤلفين" لـ "محمد رمضان" ، ص: 177.

(3) أنظر: "الأعلام" لـ "الزركلي" ، 3/301 وما يليها.

(4) أنظر: "حسن المحاضرة" ، 1/337 وما يليها.

(5) أنظر: "مكتبة السُّيوطي" ، ص: 17.

(6) أنظر: "حسن المحاضرة" ، 1/337.

5 - توليه لعدة مناصب علمية منها : توليه مشيخة خانقاه البيبرسية⁽²⁾ ،

وتولى التدريس للحديث بخانقاه شيخو⁽³⁾ ، وكذلك درس بجامع "ابن طولون"⁽⁴⁾ .
وهذه الأماكن التي درس بها تعتبر من أبرز مراكز التعليم آنذاك .

6 - تبحره في عدة علوم ، كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبيديع⁽⁵⁾ .

7 - بلوغه درجة الاجتهاد كما يحكى عن نفسه بقوله : «وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى ، أقول لك تحدثاً بنعمة الله تعالى ، لا فخرًا»⁽⁶⁾ .

عقيدته ومذهبه:

لقد كان رحمه الله مفوضاً⁽⁷⁾ ، أشعرياً⁽¹⁾ صوفياً ، فمن أقوى الأدلة على أشعريته ما قال في قصيدة في التفويض :

(1) أنظر: المرجع السابق، 337/1.

(2) أنظر: "الضوء اللامع"، 69/4.

وخانقاه البيبرسية: عبارة عن دار بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس ، وتم بناؤها سنة 709هـ ، وهي من أجل خانقاه القاهرة. أنظر: "الخطط المقرئية"، 574/3. و"حسن المحاضرة" 265/2.

(3) راجع: "الضوء اللامع"، 67/4.

وهي: دار بناها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمري في سنة 765هـ ، وكانت تقام فيها أربعة دروس في الفقه بعدد المذاهب الفقهية ، ودرس في الحديث وغيرها . "الخطط المقرئية"، 585/3.

(4) أنظر: "الضوء اللامع"، 66/4.

و"جامع ابن طولون": جامع بناه أحمد بن طولون سنة 263هـ .

(5) "حسن المحاضرة"، 338/1.

(6) المرجع السابق، 339/1.

(7) التفويض: هو علم معاني الصفات ، ويدعون أن هذا هو مذهب السلف ، وهم يقولون إن معنى اليد والوجه لا نعلمه ولكن نفوضه إلى الله ، ولكن مذهب السلف الحق هو : تفويض الكيفية في هذه الصفات لا المعنى . معجم ألفاظ العقيدة ، لأبي عبد الله عامر عبد الله فالح ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط 1 : 1417هـ ، ص: 91.

فَوَضَّ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ وَلَا تَشْبِهْهُ أَوْ تَعْطِلْ
 إِنْ رُمْتُ إِلَّا الْخَوْضَ فِي تَحْقِيقِ مَعْضِلِهِ فَأَوَّلْ
 إِنْ الْمَفْوُضَ سَالِمٌ مِمَّا تَكْلِفُهُ الْمُؤُولُ⁽²⁾

ومن الأدلة ما ورد في تفسيره لبعض الآيات التي تشهد على أشعريته وتفويضه فمنها:

قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}⁽³⁾ ، قال السيوطي : «بأيد: بقوة»⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ}⁽⁵⁾ ، قال السيوطي : «هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة ، للحساب والجزاء ، يقال : كشفت الحرب عن ساقها: إذا اشتدت»⁽⁶⁾.

وأما تصوّفه - رحمه الله - ، فقد نشأ وترعرع في بيئة منتشرة فيها التصوف ، فلقد كان جده همام الدين كما يحكي عنه من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطريقة⁽⁷⁾ . ولقد حمله أبوه بعد مولده مباشرة إلى أحد كبار الأولياء الشيخ محمد المجذوب⁽⁸⁾ ليباركه ، وتقدم أنه بعد وفاة والده كان انتقل إلى أحد أصدقاء والده من

(1) الأشاعرة : هم أقرب الفرق إلى أهل السنة والجماعة من غيرهم ، ومذهبهم مركب من الوحي والفلسفة ، وينسبون إلى أبي الحسن الأشعري ولكنه رجع إلى مذهب أهل السنة وترك ما كان يعتقده ، وهم خالفوا أهل السنة في 15 مسألة منها الأسماء و الصفات ، وأثبتوا أن لله سبع صفات فقط (الحياة ، العلم ، الإرادة ، السمع ، البصر ، الكلام ، القدرة ، وقالوا بتقديم العقل على النقل عند التعارض ، وأولوا آيات الصفات. أنظر: المرجع السابق، ص:43.

(2) أنظر: "شذرات الذهب"، 87/10.

(3) سورة: الذّارِئَات، الآية:47.

(4) أنظر: "تفسير الجلالين" لـ"جلال الدّين المحلي"، و"جلال الدّين السّيوطي"، ص:695.

(5) سورة: القلم، الآية:42.

(6) أنظر: "تفسير الجلالين"، ص:760.

(7) أنظر: "حسن المحاضرة"، 336/1.

(8) لم أقف له على ترجمته.

الصوفية ، ثم بعد أن كبر تولى عدة مناصب تتصل بالصوفية ، منها تدريس الحديث في خانقاه شيخو ، وتولى مشيخة الخانقاه البيبرسية . وكان رحمه الله يدافع عن الصوفية ، وصنف وألف فيها كتباً وكتب رسائل ، فمنها : «الخير الدال على وجود القطب والأوتاد ، والنجباء»⁽¹⁾ ، «حسن النية في خانقاه البيبرسية»⁽²⁾ .

وأما مذهبه - رحمه الله تعالى - فقد كان شافعي المذهب ، فقد ذكر ذلك عن نفسه ، وذكره كل من ترجم له ، بل إنه من أبرع من ألف في الفقه الشافعي ، فقد ألف كتاب «الأشباه والنظائر في قواعد الفقه الشافعي»⁽³⁾ .

مُصَنَّفَاتُهُ:

حيثُ امتاز الإمام "السُّيُوطي" - رحمه الله - بكثرة التأليف والتصنيف ، ويعتبر من المكثرين في التصنيف ، فقد تجاوزت مصنفاته الثلاثمائة⁽⁴⁾ مصنف وزادت على ذلك ، كما سيأتي ، ويرجع هذا الاختلاف إلى أن بعضه يحسب حتى الذي تكرر في عنوانه ، فمثلاً كتاب «النفحة المسكية والتحفة المكية» ، ورد بعنوان «التحفة المكية والنفحة المسكية» ، وهكذا⁽⁵⁾ ، وإن بعض هذه المصنفات عبارة عن رسائل صغيرة ، والبعض أفرد عن الكتاب الأم الذي وجد فيه ، فطبع مفرداً مع العلم أن أصله موجود في كتاب آخر مثل كتاب «الحاوي» ، للفتاوي فقد اشتمل على عدد

(1) انظر: "هدية العارفين" ، 5/ 538.

(2) نفس المصدر السابق.

(3) أنظر: "الكواكب السائرة" ، 1/ 226. "شذرات الذهب" ، 10/ ، 74. حيث إنهما ذكرا أنه متبع لمذهب الإمام "الشافعي".

(4) أنظر: "حسن المحاضرة" ، 1/ 339.

(5) للاستزادة في هذا الجانب أنظر كتاب: "الفارق بن المصنف والسارق" لـ "السُّيُوطي" ، ص: 19 - 21. حيث إنَّ محققه ذكر جملة من الكتب من هذا الباب ، وأيضاً تحدث مؤلف كتاب: "جلال الدِّين السُّيُوطي وعصره وحياته" ، ص: 166- 171 عن هذا الأمر.

كبير من كتبه التي استخرجت منه ، وطُبعت مفردة ، فيقوم المحصي بحسبها مفردة⁽¹⁾ ، وإليك بيان بما توصل إليه المعاصرون من إحصاء لمصنفات السيوطي :

1 - كتاب «مكتبة الجلال السيوطي» ، لأحمد الشرقي ، قال في عدد المصنفات : «وانتهيت في إحصائها إلى 725 مؤلفاً»⁽²⁾ .

2 - كتاب «دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها» ، للباحثين : محمد الشيباني ، وأحمد الخازندار ، وقالوا : «وبلغ عدد مؤلفاته وما ذكرته فهرس المكتبات المخطوطة قرابة 724 مؤلفاً ، إضافة إلى 187 مؤلفاً لم يقفوا على مكان وجودها ، والمطبوع منه 278 مؤلفاً»⁽³⁾ .

3 - كتاب «الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية» ، لإياد خالد الطباع ، حيث أنه عقد فصلاً كاملاً وضح فيه عدد مؤلفات السيوطي ، وأشار فيه إلى الكتب التي تحدثت عن مؤلفات السيوطي ، فكان أجمع من غيره ، وانتهى إلى أن عدد هذه المؤلفات من حيث العناوين بلغ 1194 عنواناً⁽⁴⁾ .

4 - كتاب «الفارق بين المصنف والسارق» ، حيث ذيل له محققه بذكر مؤلفات السيوطي ، وعدّها 799 مصنفاً .

وأذكر هنا بعضاً من مؤلفات السيوطي المطبوعة:

أولاً: مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن:

1 - الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

2 - تفسير الجلالين .

3 - إتقان في علوم القرآن .

4 - إتمام الدراية لقراءة النقاية .

5 - لباب النقول في أسباب النزول .

6 - متشابه القرآن .

(1) للاستزادة في هذا الجانب أنظر كتاب: "الإكليل في استنباط التنزيل" لـ"السُّيُوطِي" ، 1/144 - 146.

(2) "مكتبة الجلال السيوطي" ، ص:39.

(3) أنظر: "دليل مخطوطات السيوطي" ص:9.

(4) "الإمام الحافظ جلال الدين" ، ص:312.

ثانياً: مؤلفاته في الحديث وعلمه:

- الألفية في مصطلح الحديث .
- تدريب الراوي في تقريب النواوي .
- الجامع الصغير .
- اللائى المصنوعة في الأحاديث الموضوعة .
- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة .
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج .

ثالثاً: في اللغة العربية وعلمها:

- الأشباه والنظائر .
- الألغاز النحوية .
- الألفية في النحو .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع النحو .

رابعاً: في التاريخ والتراجم والسير:

- طبقات المفسرين .
- تاريخ الخلفاء .
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .
- طبقات الحفاظ .
- المنجم في المعجم .

خامساً: في الفقه وأصوله:

- الأشباه والنظائر في قواعد فروع فقه الشافعية .
- الحاوي للفتاوي ، كتاب مطبوع ، واشتمل على العديد من الفتاوى ، وعدة رسائل

منها :

أ - جزء في صلاة الضحى .

ب - المصابيح في صلاة التراويح .

ج - بسط الكف في إتمام الصف . وغيرها .

آداب الفتيا .

الروض الأريظ في طهر المحيض . خ .

سادساً: المنطق والتَّصَوُّف:

القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق . مطبوع ضمن كتاب الحاوي .

صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام .

حسن المقصد في عمل المولد . مطبوع ضمن كتاب الحاوي .

تأييد الحقيقة العلية ، وتشديد الطريقة الشاذلية .

الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال . مطبوع ضمن كتاب الحاوي .

وغير ذلك مما يطول ذكره ، فسبحان من أعطاه ملكة التأليف والتلخيص والنظم ورزقه القبول لهذه المصنفات حتى سرت وانتشرت في بلدان الإسلام⁽¹⁾ .

وفاته - رحمه الله تعالى - :

اعتزل الإمام العلامة "السيوطي" - رحمه الله عليه - الناس بعد بلوغه الأربعين عاماً من عمره، ولكنه لم يترك الحياة العلمية، بل إنه تفرَّغ للتأليف، وترك الإفتاء والتدريس، واعتذر عن ذلك في مؤلَّفٍ سَمَّاهُ: "التَّنْقِيسُ بالاعتذارِ عن الإفتاءِ

(1) للاستزادة والاطلاع على كتاب "السيوطي" - رحمه الله تعالى - يُرجى الرجوع للمراجع التي ذكرتها آنفاً بخصوص عدد مصنفات "السيوطي" - رحمه الله تعالى - .

والتَّدرِيسِ"، وَتَفَرَّغَ للعبادة والانقطاع إلى الله في منزله بروضة المقياس، ولكنَّ النَّاسَ ما تركوه؛ فقد جاءه الأُمراءُ والأغنياءُ لزيارته ويعرضُونَ عليه الأموالَ النَّفِيسَةَ فَيَرُدُّهَا.

وَوَظَلَ - رحمه الله تعالى - في بيته حتَّى أُنْتَه المنيَّةُ في سَحَرِ ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة 911هـ عن عُمرٍ يناهزُ الواحدَ والسِّتينَ عاماً، بعد أن مرض سبعة أيَّامٍ بورمٍ شديدٍ في ذراعِهِ الأَيْسَرِ، وَدُفِنَ في حوش قوصون خارج باب القرافة، وصَلَّى غائبة بدمشق بالجامع الأموي⁽¹⁾.

فرحمة الله عليه رحمة واسعة، ونسأل الله أن يُجزيه عن الإسلام خيراً على ماقدَّم من جهودٍ مثمرة، وتصانيف نافعة لا يستغني عنها أيُّ باحثٍ، ونسأله عَزَّ وَجَلَّ أن يغفر ذنبه، وأن يُدْخِلَهُ فسيح جنَّاته، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

(1) أنظر: "الكواكب السائرة"، 1/ 228، 231. وكذا: "شذرات الذهب"، 8/ 53، 55.